الحـق في البيئـة مـن منـظـور إسـلامـي

أ/ فـوزيـة فتيسـي
كلية الحقوق والعلوم السياسية - جـامعة قـالمـة
Fftissi@gmail.com

ملخص:

إن ما يتداول حاليا، عن حداثة المشـكلات البيئية، ومن ثمة حق الإنسـان في البيئة، وكذا دور القوانين الوضعية المعاصرة في ذلك المجال، لا يصدق من الحقيقة في شيء، ذلك أن قواعد الشريعة الإسلامية، قد تنبأت بتلك المشكلات، وأقرت بذلك الحق منذ أكثر من أربعة عشـر قرنا من الزمان، فسـبقت بذلك الدراسـات المعاصـرة، لاهتمامها بجميع جوانب الحياة البشـرية، لاسـيما الإنسـان وبيئته، ويظهر ذلك من خلال تسـخير المولى عز وجل كل ما في البيئة للإنســـان، وكذا اســـتخلافه على إدارة البيئة التي خلقها له، ولا يوجد أدل على ذلك من آيات القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الحق، الإسلام، البيئة.

Abstract :

What is currently trading, all modern environmental problems, and there is a human right to the environment, as well as the role of the contemporary man-made laws in that area, incredible truth in something, so that Islamic law rules, had predicted such problems, acknowledged that right for more than four centuries ago, overtaking contemporary Studies, for its attention to all aspects of human life, especially the man and his environment, shows that by harnessing the Almighty everything in the environment to man, as well as the Astkhalavh to manage the environment created by him, and there is evidenced by the the verses of the Koran.

Key words: Right, Islam, the environment.

ISSN. 2352-975X

مقدمـة:

ترتبط البيئة بجميع مجالات الحياة وأهمها الأرض بمائها وهوائها وتربتها وما عليها من ثروات، إلا أن ما شـهده النصـف الثاني من القرن العشـرين، من تقدم صـناعي وتكنولوجي، وتهافت الدول المتقدمة منها والنامية على تحقيق نمو اقتصـادي واجتماعي، سـاعد على جعل هذه البيئة بعناصـرها المختلفة موضـع عدوان وتدمير، وأكثر عرضة من ذي قبل للفساد والتدهور وتهدم نظمها الإيكولوجية .

ورغم ما يتردد في العالم حول حداثة ظهور المشـكلات البيئية، إلا أن المتأمل في النصوص القرآنية، وكذا السيرة النبوية يدرك من غير عناء أن العالم لم يتفطن إلى ما تتعرض له البيئة من مخاطر وتهديدات إلا في وقت قريب، في حين نجد أن الدين الإسلامي قد تنبأ بما سيطرأ على البيئة من فساد وتدهور وذلك منذ ما يزيد عن ألف وأربع مائة عام من الزمان .

وإذا كان الإسلام قد تنبه إلى مسألة المشكلات البيئية قبل غيره، فان الإشكال يطرح في ذات السياق حول حق الإنسان في البيئة، لاسيما وأنه يعد من حقوق الإنسان الحديثة في إطار القوانين الوضعية، إذ ينتمي إلى الجيل الثالث لحقوق الإنسان.

وعليه يمكن طرح الإشكالية الآتية:

هل أقر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بحق الإنسان في البيئة؟

وسنحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال مايلي:

أولا: تسخير ما في البيئة للإنسان

ثانيا: استخلاف الإنسان في إدارة البيئة

أولا: تسخير ما في البيئة للإنسان

خلق الله عز وجل الإنسـان من عدم، فقد خلق جسـده من طين، والطين من المكونات البيئية غير الحية[1]، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[2]، ووهب سبحانه وتعالى بني البشر الروح لتكون رمزا للحياة، ولاستمرار الخلق أنعم على الإنسان نعمة التكاثر، وقبلها كرمه بميزة العقل ليدرك

ISSN. 2352-975X

به ذاته وما حوله، وليتفكر في هذا الكون وما فيه[3]، وبذلك أعطى الإسلام للإنسان مكانة خاصة، وفضله على سائر المخلوقات[4]، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[5].

إن من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، وتحقيق الخير له، أن سخر له الله كل ما في الكون من مخلوقاته ونعمه، فقد جعل له، السماء والأرض، الشمس والقمر، الليل والنهار، الماء والهواء، الحيوان والنبات، البحر...الخ [6].

والآيات القرآنية الدالة على ذلك عديدة، فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[7]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[8]، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[9]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[10] .

ومن تلك الآيات الكريمة وغيرها، ندرك أن المولى عز وجل قد بسط وهيأ موارد هذا الكون لمنفعة الإنسان، فلا يستعصى أي شيء منها عليه، إذا تيسرت سبله، وروعيت سنن الله فيه، وهذا ما يعني أن للإنسان "حقا" على تلك الموارد، وهو حق بالمعنى الواسع للفظ، يشمل سلطة البحث العلمي عن خواصها وأسرارها، وسلطة الانتفاع بها، فيما ينفع الخلق وعمارة الكون[11]، والحفاظ على النظم والقوانين الطبيعية التي أوجدتها الحكمة الإلهية، وعدم الإخلال بها، لما في ذلك من مساس

ISSN. 2352-975X

بحقه، فضـلا عن النهي عن الفسـاد في الأرض، بما يدعم الحفاظ على حق الإنسـان في البيئة[12].

والملاحظ أن الآيات السـابقة، قد تكلمت بصـفة عامة عن"محل" الحق، مع وجود آيات أخرى، قد فصـلت في الأنواع البيئية، والثروات التي يرد عليها حق الإنسـان والتي تتجلى في:

1- البيئة البرية:

تحظى البيئة البرية بأهمية بالغة لا تخفى على أحد، فالبر هو البيئة التي يعيش فيها الإنسـان والحيوانات والنباتات، ومن هنا فقد أظهر الإسـلام منة الله سـبحانه وتعالى على عباده في خلقها وتوازنها، وغالبا ما يعبر القرآن الكريم عن البيئة البرية بالأرض، والمتتبع للآيات القرآنية التي تحدثت عن الأرض، يجد أن الله سـبحانه قد أنبأنا بأنه خلق الأرض وقدر فيها أقواتها، وبارك فيها[13]، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[14].

إن القرآن الكريم قد تحدث عن الثروة النباتية لما لها من أهمية في الحفاظ على التوازن البيئي، فالغطاء النباتي يمنع انجراف التربة، ويسـاهم في المحافظة على التوازن بين الغازات في الغلاف الجوي المحيط بالأرض، وهو التوازن المطلوب لاسـتمرار حياة البشـر، فضـلا عن دور الغطاء النباتي في تلطيف البيئة البرية، والحد من درجات الحرارة، ومقاومة التصـحر، وإعاشـة الإنسـان والحيوان[15]، لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْـبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[16]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[17]، وقوله أيضـا:

ISSN. 2352-975X

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ، رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[18]...الخ.

وتجدر الإشارة إلى أن السنة النبوية قد رغبت في الزراعة والغرس والتشجير، وجعلت ذلك من أفضل الطاعات التي يثاب عليها العبد المسلم، لما لها من فوائد كبيرة للناس وللبيئة نفسها والتي سبق الإشارة إليها، إذ قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ): «ما من مسلم غرس غرسا، فأكل منه إنسان، أو دابة إلا كان له صدقة»[19]، وكذلك شجع (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) على إحياء الأرض الموات فقال: « من أحيا أرضا ميتة فهي له»[20].

كما أن الله خلق الثروة الحيوانية لتحقيق مصالح الإنسان، من مأكل ومشرب وملبس ومركب، ومصدر ثروة وغناء، ومنافع أخرى[21]، قال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[22]، وقال أيضا: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾[23]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[24].

2- البيئة المائية:

يعد الماء من أهم العناصر البيئية التي تتوقف عليها حياة الإنسان في هذا الكون، وهو من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، ولهذا من البديهي أن يعد الماء من أهم مننه سبحانه التي امتن بها على الإنسان، وهذا الامتنان فيه تنبيه واضح لأهمية الماء في حياة الإنسان والحيوان والنبات[25]، إذ تشكل المياه عنصرا فاعلا في الحياة، بل هي أصل الحياة وضرورة لاستمرارها[26]، ولا يمكن استبدالها بأي مصدر آخر، وأهم ما يميزها هو ثباتها، فالكميات الموجودة على ظهر الأرض هي نفسها منذ خلق الله الأرض[27].

ISSN. 2352-975X

فالماء مركب كيميائي ينتج من تفاعل غاز الأكسجين مع غاز الهيدروجين، ويميز بخواص كيميائية وفيزيائية وحيوية تجعله من مقومات الحياة على الأرض[28]، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[29]، وقد أثبتت الأبحاث العلمية على أن ما يزيد على90 ٪ من وزن الكائنات الحية هو من الماء[30]، فهو يكون حوالي 60-70٪ من أجسام الأحياء الراقية بما فيها الإنسان وتزداد هذه النسبة إلى 90 ٪ من أجسام الأحياء الدنيا[31]، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[32]. والآيات القرآنية الدالة على امتنان الله على عباده كثيرة منها:

-فضلا عن نعمة الخلق، فالماء أصل الحياة وأصل خلق الإنسان وسائر المخلوقات كما سبق الإشارة إليه، هناك نعمة الشرب، لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾[33].

-نعمة إنبات النبات عن طريق إنزال الماء، لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[34].

-نعمة الأكل من المخلوقات التي تعيش في الماء، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[35].

-نعمة جعل الماء وسطا مناسبا لوسائل النقل، لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ ﴾[36].

-نعمة النظافة والتطهر، لقوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[37].

ISSN. 2352-975X

وعليه فان فقدان الماء أو قلة موارده له مردوده السيئ على الحياة، وبالنظر لأهميته جعل النبي (صـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسـلَّمَ) الناس شـركاء فيه، والمحافظة عليه مسـؤولية الجميع، إذ جاء في السـنة المطهرة قوله (صـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسـلَّمَ): «الناس شـركاء في ثلاث: في الماء وفي الكلأ، وفي النار»[38].

3- البيئة الجوية:

يعد الهواء عنصرا أساسيا من عناصر الحياة، فهو لا يرى بالعين المجردة، بل يمكن الإحساس به[39]، ولولا وجوده ما استطاع الإنسان البقاء على وجه الأرض، فهو يحتاج إلى قدر كبير من الهواء يوميا، ويزداد في حالة الحركة وبذل المجهود[40].

ويشـمل الغلاف الهوائي على الغازات الجوية، كالهيدروجين والأكسـجين وثاني أكسـيد الكربون...الخ[41]، ويعتبر من مقومات الحياة لجميع الكائنات الحية لما يوفره لها[42]، إذ تحتاج النباتات إلى غاز ثاني أكسـيد الكربون والنيتروجين لاسـتكمال عمليات نموها، في حين تحتاج الكائنات الحية الأخرى بما فيها الإنسـان إلى غاز الأكسـجين لأداء وظائفها الحيوية[43]، فهو ضروريا لتحقيق واستمرار العديد من التفاعلات الحيوية والبيولوجية[44]، وقد اقتضـت الحكمة الإلهية أن تتحرك مكونات هذا الهواء الأسـاسـية في دورات محكمة التنظيم تحفظ لخليط الهواء ثباته واتزانه[45].

وبالنظر للأهمية التي يحظى بها الغلاف الجوي، فقد أولاه الإسلام عنايته من خلال بيان أهميته ووظيفته التي أرادها الله له، وقد عبر عنه بالسـماء أحيانا وبالريح أحيانا أخرى[46]، ويمكن إجمال هذه الأهمية في النقاط التالية:

-حفظ الأرض، إذ جعله الله كالسـقف لها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَـقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[47].

-التوزيع المتوازن للأمطار، من خلال حمل السـحب وتسـييرها إلى حيث يريد الله، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْـرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَـحَابًا

ISSN. 2352-975X

ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[48].

-نقل حبوب اللقاح في النباتات، لقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[49].

وما يمكن قوله أن كل من البيئة البرية والمائية والجوية كما صورها القرآن الكريم، المصدر الأول للتشريع الإسلامي، قد جعل الله تعالى للإنسان حقا فيها، وحثه انطلاقا من ذلك على البحث عنها، والاستفادة منها في حياته باعتبارها نعمة من نعم الله تعالى، على أن يستعملها فيما ينفع الخلق وعمارة الأرض، وأن يرعى سنن الله في ذلك[50]. ولعله لا يوجد أدل في الاعتراف بحق الإنسان في البيئة، من أن الله تعالى قد جعل صاحب هذا الحق(الإنسان)، هو خليفته في صيانة محل ذلك الحق(البيئة)[51].

ثانيا: استخلاف الإنسان في إدارة البيئة

اعترافا بحق الإنسان في البيئة، فقد استخلفه الله على إدارتها، ووصاه عليها، فالمولى عز وجل لم يخلق الكون وبيئته باطلا، بل لغاية قدرها[52]، لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[53]، كما أن خلق الإنسان كان لغاية قضت بها الإرادة الإلهية، والغايتان في خلق البيئة والإنسان تلتقيان في تحقيق خلافة الإنسان في البيئة[54].

إن الإنسان خليفة الله في الكون ليعمره، ويعمل على إصلاحه، وإظهار أسرار الله فيه، واستثماره والمحافظة عليه، فهو مستخلف على إدارة الأرض وفقا لمقاصد خالقها، لاستثمارها لنفعه ولنفع غيره من الخلق، ولتحقيق مصالحه ومصالح الخلق جميعا، وهو بذلك أمين عليها، لذا يجب عليه أن يتصرف تصرف الأمين في حدود أمانته[55]، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[56].

ومهمة الخلافة منزلة لا يستهان بها، فقد رغبت الملائكة في النهوض بها عوضا عن الإنسان، إلا أن الله منعهم منها، ومنحها للإنسان [57].

ISSN. 2352-975X

وقد أشارت العديد من الآيات القرآنية إلى مسألة خلافة الإنسان في البيئة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[58]، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[59]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[60]، وقال أيضا: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[61].

وما تجدر الإشارة إليه أن نطاق الخلافة على إدارة موارد البيئة، مقيد بالقواعد الشرعية التي تحث على ضرورة المحافظة على سلامة البيئة بمختلف أنواعها، لأن هذه البيئة لن تقوم بوظائفها على الوجه الأكمل إلا في ضوء التوازن الذي أراده الله، والذي يترتب عن الإخلال به مفاسد كثيرة، تظهر من خلال الظواهر غير المألوفة، وقد نهى الإسلام عن الفساد في الأرض، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[62]، وقوله أيضا: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[63].

إن إعمال القواعد الفقهية، تهذب من سلطان الإنسان على موارد البيئة، وتحمله على الحفاظ عليها، حتى لو كان له عليها حق ملكية[64]، ومن هذه القواعد:

-قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح: وتعني الامتناع عن أي فعل يؤدي الإتيان به إلى مفسدة، حتى لو أدى ذلك الامتناع إلى تفويت مصلحة ؛

-قاعدة لا ضرر ولا ضرار: هذه القاعدة تنفي الضرر، كما تنفي مقابلة الضرر بالضرر، فإذا كانت الشريعة لا تأذن بمقابلة الضرر بالضرر، فكيف يمكن أن تأذن بإحداث الضرر ابتداءً ؛

ISSN. 2352-975X

-قاعدة الضرر يزال: ومفادها أن أي تصرف يترتب عليه ضرر، يمنع ذلك التصرف، وإذا كان الشرع أمر بإزالة الضرر الخاص، فما بالك بالضرر العام، لاسيما وأن أي تصرف ضار بالبيئة، لا يقتصر ضرره على صاحب التصرف ولا حتى على بلده، فلا مجال للحدود عندما يتعلق الأمر بالبيئة[65].

والملاحظ أن فكرة الوكالة عن الجماعة في استثمار المال، من جهة من نسميه مالك، تقودنا للقول أن للإنسان حق في موارد البيئة، ومن وجهة نظر الإسلام وحفاظا على استمرارية أداء وإنتاجية تلك الموارد، فان ذلك الحق يكيف على أنه "حق إدارة " للموارد البيئية، من قبل كل فرد، لمصلحة الآخرين، وليس "حق ملكية"[66].

ولا نتناقض مع روح الإسلام، إذا قلنا أن القواعد والمبادئ المنظمة لاستخلاف الإنسان في الأرض، تنزل بحق الإنسان على موارد البيئة من "حق الملكية" إلى مرتبة "حق الانتفاع" فقط، والذي تقل فيه سلطات صاحبه عن سلطات المالك، وليس ذلك بالغريب لاسيما أن بعض فقهاء المذهب المالكي، يرون أن الملكية، بوجه عام، لا ترد إلا على المنافع، أما موارد البيئة والكون الذي خلقه الله، فملكيتها تبقى لله سبحانه[67].

وقد أكدت على ذلك العديد من الآيات القرآنية، فقد قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[68]، وقوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[69]، وقوله أيضا: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[70].

وفضلا عن تلك الآيات وغيرها، فان الطابع المؤقت لاستخلاف الإنسان في الكون، من خصائص حق الانتفاع، وعليه تتأكد فكرة حق الانتفاع بالموارد البيئية، وقد دل القرآن الكريم على هذه المحدودية الزمنية، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[71]، وتقتضي هذه المحدودية الزمنية على الإنسان أن يضبط سلوكه في تعامله مع موارد البيئة الطبيعية، باعتبارها ملكا أيضا للأجيال القادمة، وهو ما يستوجب صيانتها والحفاظ عليها[72]، والاستفادة منها دون عبث أو تخريب أو

ISSN. 2352-975X

تبذير، ولن يتأتى ذلك إلا بعدم الابتعاد عن القيم الإسلامية التي تربط الإنسان بمحيطه .

فإذا أدرك الإنسـان هذا التسـخير، على أنه تسـخير عناية ورعاية وعمارة للأرض لا وجه فيه للتدمير، وحافظ على ما وهب له، حفظ نفسـه والخلق من حوله، وإلا فانه سـيخل بالنظم البيئية ويفسـدها على نحو قد لا يكون العلاج بعده ممكنا، وعندها سيضر بنفسه وغيره[73]، فالله خلق الكون (البيئة) بدقة بالغة وتوازن، وزوده بكل ما يحقق مصـلحة الإنسـان وسـعادته، ليتمكن من القيام بواجب الخلافة، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[74]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[75].

خاتمـة

أقر الإسـلام قبل غيره، ما يسـمى"بحق الإنسـان في بيئة متوازنة"، كما خلقها الله، وهو لا يقل في الأهمية عن باقي حقوق الإنسان الأخرى، فهو حق وليس منحة أو منة من قانون وضـعي، فقد قرره الخالق للإنسـان باعتباره حقا دائم وثابت بحكم الطبيعة وقواعد الشـريعة، التي جاءت بأحكام وتعاليم واضـحة، وأسـس سـامية، وقيم راقية لتنظيم وضـبط علاقة الإنسـان بالبيئة، لم تبلغ القوانين الوضـعية مسـتواها مهما بلغت مؤيداتها الجزائية، ذلك أن علاقة الإنسـان المسـلم بالبيئة التي يعيش فيها علاقة دينية وخلقية، مما يعني أن حق الإنسـان في البيئة وواجبه تجاهها، ليس مجرد سـلوك حضاري، بل هو مطلب ديني.

فالإسـلام رسـم للفرد المسـلم أسـس التعامل مع المشـكلات البيئية، إذ أن نصـوصـا عديدة وردت غايتها وقاية الإنسـان من هذه المشـكلات وعدم ظهورها من جهة، والتصـدي لهذه المشـكلات إن وقعت من جهة أخرى لحماية الإنسـان والبيئة معا، على اعتبار البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، وبالتالي يتأثر كل منهما بالآخر.

وعليه فالاهتمام بالبيئة ومكوناتها لم يكن وليد الحضـارة المادية المعاصـرة، حيث أن المفاهيم والقواعد والمبادئ التي جاء بها الإسـلام بخصـوص البيئة، قد سـبقت في

ISSN. 2352-975X

سموها وكمالها، ما توصـل إليه الغرب في مختلف الأعمال والتدابير القانونية الوطنية منها والدولية، بل يمكن التأكيد على أن تلك القواعد والمبادئ هي من أبجديات الإسـلام، ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم قبل ما يزيد عن ألف وأربعمائة عاما، فتمتع الإنسـان بما أوجده الله في البيئة من منافع ونعم، كلها تقطع بحق الإنسـان في بيئة متوازنة، هيأها الخالق وزودها بكل ما هو ضروري لحياة خليفته في الأرض.

وبذلك نجد أن الشـريعة الإسـلامية، لها قصب السبق في الاعتراف بحق الإنسـان في البيئة، وهو ليس بالأمر الغريب عنها، باعتبار قواعدها ربانية، إنسـانية، وسـطية، واقعية، كاملة وشـاملة وصـالحة لكل زمان ومكان. ويبقى على الإنسـان أن يحافظ على بيئته كما خلقها الله له، لان صلاحها مرهون بصلاحه.

الهـوامـش:

(1)- طلال محمد المومني، "حماية البيئة من منظور إسـلامي"، في مجلة الدراسـات الإسـلامية"، تصـدر عن اللجنـة العليـا للبحـث العلمي في وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي، جـامعـة آل البيـت، المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية، المجلد2، العدد2، 2006، ص194.

(2)- سورة السجدة، الآية (6).

(3)- طلال محمد المومني، المرجع السابق، ص194.

(4)- أحمد عبد الكريم سـلامة، قانون حماية البيئة الإسـلامي -مقارنا بالقوانين الوضـعية-، القاهرة، ط1، 1996، ص85.

(5)- سورة الإسراء، الآية (70).

(6)- أحمد عبد الكريم سلامة، المرجع السابق، ص86.

أنظر أيضا: طلال محمد المومني، المرجع السابق، ص194.

(7)- سورة الحج، الآية (63).

(8)- سورة إبراهيم، الآية (36-34).

(9)- سورة لقمان، الآية (19).

(10)- سورة الملك، الآية (16).

(11)- أحمد عبد الكريم سـلامة، "مبادئ حماية البيئة في الشـريعة الإسـلامية مقارنة بالأنظمة الوضعية"، في مجلة الدراسات الدبلوماسية، معهد الدراسات الدبلوماسية، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، العدد14، 2000، ص141.

ISSN. 2352-975X

(12)- أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي -مقارنا بالقوانين الوضعية- ، المرجع السابق، ص87.

(13)- عبد المجيد صلاحين، "التدابير الشرعية لحماية البيئة زمن السلم"، في مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، تصدر عن عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد27، العدد1، 2000، ص123.

(14)- سورة فصلت، الآية (9-8).

(15)- عبد المجيد صلاحين، المرجع السابق، ص124.

(16)- سورة عبس، الآية (32-24).

(17)- سورة الأنعام، الآية (142).

(18)- سورة ق، الآية (11-10).

(19)- ذكره سعيد عبد الرحمان بن موسى القزقي، "دور السنة في رعاية البيئة والمحافظة عليها"، في مجلة الشريعة والقانون، مجلس النشر العلمي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة21، العدد29، 2007، ص155.

(20)- ذكره سعيد عبد الرحمان بن موسى القزقي، المرجع نفسه، ص153.

(21)- سعيد عبد الرحمان بن موسى القزقي، المرجع نفسه، ص163.

(22)- سورة النحل، الآية (8-6).

(23)- سورة النحل، الآية (66).

(24)- سورة النحل، الآية (80).

(25)- عبد المجيد صلاحين، المرجع السابق، ص114-115.

(26)- سعيد عبد الرحمان بن موسى القزقي، المرجع السابق، ص194.

(27)- خالد خليل الظاهر، قانون حماية البيئة في الأردن - دراسة مقارنة-، ط1، 1999، ص12.

(28)- يونس إبراهيم أحمد مزيد، البيئة والتشريعات البيئية، دار حامد، عمان، ط1، 2008، ص28.

(29)- سورة الأنبياء، الآية (30).

(30)- عبد المجيد صلاحين، المرجع السابق، ص115

(31)- نادية ضياء شكارة، علم البيئة والسياسة الدولية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014، ص126.

(32)- سورة النور، الآية (43).

(33)- سورة الواقعة، الآية (72-71).

(34)- سورة الحج، الآية (5).

ISSN. 2352-975X

(35)- سورة النحل، الآية (14).

(36)- سورة إبراهيم، الآية (34).

(37)- سورة الأنفال، الآية (11).

(38)- ذكره أحمد عبد الكريم سلامة، "مبادئ حماية البيئة في الشريعة الإسلامية مقارنة بالأنظمة الوضعية"، المرجع السابق، ص151.

(39)- نجم الغزاوي وعبد الله النقار، إدارة البيئة- نظم ومتطلبات وتطبيقاتIS14000، دار المسيرة، عمان، 2007، ص103.

(40)- راتب سلامة السعود، الإنسان والبيئة- دراسة في التربية البيئية- ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط7، 2015، ص31-32.

(41)- خالد خليل الظاهر، المرجع السابق، ص12.

(42)- يونس إبراهيم أحمد مزيد، المرجع السابق، ص27.

(43)- راتب سلامة السعود، المرجع السابق، ص31.

(44)- نادية ضياء شكارة، المرجع السابق، ص87.

(45)- راتب سلامة السعود، المرجع السابق، ص31.

(46)- عبد المجيد صلاحين، المرجع السابق، ص128-129.

(47)- سورة الأنبياء، الآية (32).

(48)- سورة الأعراف، الآية (56).

(49)- سورة الحجر، الآية (22).

(50)- محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1983، ص121.

(51)-أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي- مقارنا بالقوانين الوضعية-، المرجع السابق، ص87

(52)- أحمد عبد الكريم سلامة، "مبادئ حماية البيئة في الشريعة الإسلامية مقارنة بالأنظمة الوضعية"، المرجع السابق، ص145.

(53)- سورة آل عمران، الآية (191).

(54)- أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي- مقارنا بالقوانين الوضعية-، المرجع السابق، ص88.

(55)- سعيد عبد الرحمان بن موسى القزقي، المرجع السابق، ص150.

(56)- سورة الأنفال، الآية (27).

(57)- يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، 1986، ص69.

ISSN. 2352-975X

(58)- سورة البقرة، الآية (29).

(59)- سورة الأعراف، الآية (73).

(60)- سورة الأنعام، الآية (167).

(61)- سورة ص، الآية (25).

(62)- سورة الأعراف، الآية (84).

(63)- سورة البقرة، الآية (59).

(64)-أحمد عبد الكريم سـلامة، "مبادئ حماية البيئة في الشـريعة الإسـلامية مقارنة بالأنظمة الوضعية"، المرجع السابق، ص147.

(65)- عبد المجيد صلاحين، المرجع السابق، ص129-130.

(66)- أحمد عبد الكريم سـلامة، "مبادئ حماية البيئة في الشـريعة الإسـلامية مقارنة بالأنظمة الوضعية"، المرجع السابق، ص147.

(67)- محمد سلام مدكور، المدخل للفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986، ص472.

(68)- سورة الحديد، الآية (7).

(69)- سورة المائدة، الآية (120).

(70)- سورة النور، الآية (33).

(71)- سورة البقرة، الآية (35).

(72)- أحمد عبد الكريم سـلامة، "مبادئ حماية البيئة في الشـريعة الإسـلامية مقارنة بالأنظمة الوضعية"، المرجع السابق، ص149.

(73)- طلال محمد المومني، المرجع السابق، ص195.

(74)- سورة النمل، الآية (88).

(75)- سورة القمر، الآية (49).

ISSN. 2352-975X